# المادة المعرفية والمنهجية لدراسة الأديان في القرآن الكريم

# COGNITIVE AND METHODOLOGICAL STUFF FOR THE STUDY OF RELIGIONS IN THE HOLY QURAN

الدكتور:بدران بن لحسن
جامعة حمد بن خليفة، الدوحة، قطر

**Dr. Badrane BENLAHCENE**
**Hamad bin Khalifa University, Doha, QATAR**

bbenlahcene@hbku.edu.qa

| استلم: | 2019/09/29 | ***Received:*** | قُبل للنشر: | 2020/05/14 | ***Accepted:*** |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |

## ملخص:

تسعى هذه الورقة إلى دراسة المادة المعرفية والمنهجية التي جاء بها القرآن وتشكل زادا معرفيا ومنهجيا للباحث المسلم في دراسة الدين وقضاياه المذكورة آنفا، وما هي الصورة التي قدمها القرآن عن الدين، وما هي تحديداته لمفهوم الدين، ونشأة العقيدة الدينية، وظهور التعددية الدينية، واختلافات العقائد، وكذلك الرموز الدينية والشعائر والطقوس، وما ينشأ عن ذلك من حوار وتدافع وتعايش واختلاف.

وهذا اقتضى التمهيد بتناول موضوع مركزية القرآن في إنتاج المعرفة ثم تناول البحث في قسمين مهمين؛ أحدهما المادة المعرفية في القرآن الكريم لدراسة الدين، وهذه تتضمن مركزية القرآن في إنتاج المعرفة عموما، وكثافة المادة القرآنية التي تتعلق بالأديان. أما القسم الآخر فهو المؤشرات المنهجية التي يمكن استمدادها من القرآن الكريم في دراسة الأديان. وقد اعتمد البحث في ذلك منهجا استقرائيا لآيات القرآن المتعلقة بالموضوع، ومنهجا تحليليا مستنبطين به القواعد المنهجية التي وضعها القرآن لدراسة الأديان.

وهذا قادنا بعد التحليل والمناقشة إلى ان الباحث المسلم برجوعه للقرآن يمكن أن يجد مادة كثيفة تتناول الأديان وموضوعات دراستها، كما يمكن له أن يستنبط منه نواظم منهجية لدراسة الأديان توفر لنا قواعد مهمة لتحقيق موضوعية الدراسة.

**الكلمات المفتاحية:** القرآن؛ الدين؛ منهج؛ مادة؛ معرفية؛ نواظم.

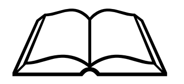
**Abstract :**

*This paper aims at studying the data and methods available in the Qur'an for the study of religion, which form an arsenal for the Muslim researcher to study religion and its issues. i.e. the picture that the Qur'an draws on religion, its conception, the formulation of the religious belief, the religious pluralism, diversity of creeds, the religious symbols and rituals, and the related issues.*

*Therefore, the paper starts with the centrality of the Qur'an for the Muslim researcher in Religions. Then, the paper is divided into two sections; firstly the discussion of the material available in the Qur'an. The second part discusses the methodological indicators derived from the Qur'an that form the methodology of studying religion. The study adopted an inductive approach to the verses of the Qur'an related to the subject, and an analytical approach to elaborate the methodological rules from the Qur'an to study religion.*

*Accordingly, after analysis and discussion this paper found that the Muslim researcher relying on the Qur'an could find a huge material dealing with religion and its issues, as well as could develop systematic indicators that form methodological rules that help study religions objectively.*

**Keywords :** *Qur'an; Religion; Method; Material; Cognitive; Indicators.*



*June 30th, 2020*
*corresponding author: bbenlahcene@hbku.edu.qa*

**مقدمة:**

الدعوى الأساسية لهذا البحث هي أن ما نواجهه من إشكالات وأزمات، كامن في الابتعاد عن القرآن الكريم في المجال المعرفي والانتاج العلمي بخاصة، وأن القرآن الكريم هو الأساس الأبرز لمصادر المعرفة، وأنه معيار صواب الآراء والأفكار أو عدمها، والمصدر الرئيسي للقواعد الثابتة والشاملة لجميع العلوم الدينية، وجميع تحركات الانسان وتوجهاته، نحو السعادة والهداية.

ولهذا فإن إشكالية البحث هي تناول منظور القرآن الكريم في دراسة موضوع الدين؛ أي المادة المعرفية والمنهجية التي جاء بها القرآن وتشكل زادا معرفيا ومنهجيا للباحث المسلم في دراسة الدين وقضاياه المذكورة آنفا، وما هي الصورة التي قدمها القرآن عن الدين، وما هي تحديداته لمفهوم الدين، ونشأة العقيدة الدينية، وظهور التعددية الدينية، واختلافات العقائد، وكذلك الرموز الدينية والشعائر والطقوس، وما ينشأ عن ذلك من حوار وتدافع وتعايش واختلاف.

وذلك يقتضي الحديث عن موضوع مركزية القرآن في إنتاج المعرفة ثم تناول البحث في قسمين مهمين؛ أحدهما المادة المعرفية في القرآن الكريم لدراسة الدين، وهذه تتضمن مركزية القرآن في إنتاج المعرفة عموما، وكثافة المادة القرآنية التي تتعلق بالأديان. أما القسم الآخر فهو المؤشرات المنهجية التي يمكن استمدادها من القرآن الكريم في دراسة الأديان؛ ذلك أننا بقراءتنا للقرآن يمكن أن نستنبط منه مجموعة قواعد ناظمة لدراسة الأديان توفر لنا قواعد مهمة لتحقيق موضوعية الدراسة، معتمدين في ذلك منهجا استقرائيا لآيات القرآن المتعلقة بالموضوع، ومنهجا تحليليا مستنبطين به القواعد المنهجية التي وضعها القرآن لدراسة الأديان.

**1. مركزية القرآن في إنتاج المعرفة:**

إن القرآن والسنة مصدرا الإسلام لتشكيل التصورات والمفاهيم والقيم كليها وجزئيها، ومنبع للمسلم في بناء مفاهيمه ومناهجه في الدين والعلم والحياة، ولهذا فإنهما يمثلان منبع استمداد لا ينضب

لدراسة مختلف الظواهر والقضايا والأفكار والأحداث. فمنه نستمد الرؤية، والمنهج، والمقاصد التي يتناولها القرآن، ومختلف العلوم التي تستمد من القرآن إما بطريق مباشر؛ أي ما يتعلق منها بسنن الهداية، وإما بطريق غير مباشر؛ أي سنن الأفاق والأنفس والتاريخ. إنها رؤية تجعل القرآن مركز اهتمام شامل ومتعدد الجوانب.

لأن القرآن «جامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسِّره»[1].

وهو كتاب الله الجامع لخيري الدنيا والآخرة، ومنبع الحق والهداية، ومصدر العلوم على تنوعها، ومستمد الكليات في التشريع وفي العلم والأخلاق. وبالنظر في القرآن وتدبره نولد منه نماذج معرفية ومنهجية وعملية.

فهو ليس كتابا دينيا بالمفهوم الضيق للدين، وإنما هو كتاب هداية ورحمة وتبيان لكل شيء. ذلك أنه منبع للمعاني والمفاهيم والتصورات، والقيم والآداب، والأحكام والقصص، ومقاصده شاملة لمختلف جوانب الفكر والعمل، ومبثوثة في كل آياته[2].

وينبغي أن يأخذ القرآن مركز الاهتمام والاشتغال في تشكيل التصورات، وتحديد الرؤية، وبناء المناهج والمفاهيم، وفي مباشرة عملية التجديد الفكري والعلمي، والإصلاح التربوي والاجتماعي، بغية

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م)، ج1، ص5.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص8.

«التوصل إلى الوعي الحضاري العمراني بالقرآن»(1). لأن القرآن منبع الهداية ومصدر الصواب لهذه الأمة؛ منه يتكون الإنسان السوي والمجتمع السوي في كل زمان ومكان.

وعندما يتعامل المسلم مع القرآن والسنة تعاملاً حسناً، فإنه يصل إلى فهم حسن للقضايا الكبرى التي تشغل بال الإنسان في كل مكان؛ قضية الخالق سبحانه، والخلق والكون والحياة والهدف منها، ودور الإنسان في هذه الحياة، ومصيره بعدها، ويصل المسلم أيضا إلى فهم حسن للمشكلات الحياتية والحضارية التي يعاني منها العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر(2).

إن القرآن الذي نـزل إلى العالمين على امتداد الزمان والمكان، لابد وأن يبقى مفتوحاً للأجيال تنهل منه على اختلاف بيئاتها وأزمانها، وإن من الأخطاء الكبيرة وبدايات الانحراف في الفهم والاستمداد، أن نعمد إلى محاصرة الوحي بأفهامنا، فلا نسمح له بالامتداد إلا بمقدار ما تسمح به عقولنا ومداركنا، فنحرم عقولا أخرى من حظها في الفهم، ونصادر حقها في الرأي والاجتهاد(3).

وعلينا أن نعمل على أن يسترجع القرآن مكانه؛ تدبراً وتفكراً واستنباطاً واستقراءً، وذلك يمثل استدعاءً للقرآن العظيم للساحة الثقافية، وإنهاء حالة الهجر والفصام بينه وبين العقل المسلم، وجعله المصدر الأول والأهم للمسلم المعاصر، كما كان كذلك عند السلف، يرجع إليه ليستقي منه العلم

---

(1) محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، ط1، (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1411هـ/1991م)، ص3. من تصدير الشيخ طه جابر العلواني.

(2) صلاح إسماعيل، كيف نتعامل مع القرآن والسنة، في نصر محمد عارف، قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1418هـ/1987م)، ص81.

(3) سعيد شبار، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1، (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2007م).ص11.

والمعرفة السليمة في نظرته إلى الإنسان والحياة والوجود، في الفطرة الإنسانية والاجتماعية، وفي قضايا الفرد والأسرة والمجتمع والعلاقات والنظم[1].

فالقرآن «أنـزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم. قال الله تعالى: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [النحل:89]. فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية.»[2]

ومعرفيا ومنهجيا، ينبغي أن نفك الارتباط بين القرآن وبين بعض المحاولات التي أغرقته في تصورات لاهوتية كلامية، جعلت منه كتاباً طقوسياً بعيداً عن صياغة الحياة، لنسترجع المبادرة بالقرآن ونستدعيه لصياغة تصور جديد، هذا التصور هو عدّه أن مدار مقاصد القرآن هو الإنسان وصلاح الإنسان.

إن كل شؤون الإنسان يشملها القرآن باستيعابه الشامل لمختلف دوائر حياة الإنسان، ولمختلف أبعاد شخصيته. وعليه، فإننا بتأملنا لمختلف الدوائر والأبعاد ندرك أن القرآن يكون منبعا لنا في تأسيس مختلف المعارف المتعلقة بصلاح الإنسان؛ فردا وجماعة وعمرانا.

وهذا يجعل من القرآن مركزيا ومهيمنا في التأسيس لعلم العقيدة، وعلم الأخلاق، وعلم الأدب وتهذيب النفوس، ومناهج التفكير، وعلم النفس، وعلم الشعائر أو العبادات، وعلم المعاملات، ويعبر

(1) الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، مرجع سابق، ص1. من تصدير الشيخ طه جابر العلواني.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص38.

عنه عند الحكماء بالسياسة المدنية[1]، وفي تأسيس الفقه الجماعي، أو فقه الشؤون العامة التي تهتم بالوجود الاجتماعي للفرد في وسط جماعة؛ أي فقه الشأن العام[2]، وعلم العمران وعلم الاجتماع[3].

وهذا بدوره يجعل من القرآن منبعا للعلوم الاجتماعية والعمرانية، ومختلف حقول المعرفة التي تؤسس للتحضر الإنساني والعمران البشري. وهو تأكيد للخط الخلدوني في التركيز على فقه العمران والاجتماع، وتأسيس مهم للبحث الاجتماعي على أسس قرآنية تستدعي القرآن مؤسسا وموجها للنظر الاجتماعي.

فصلاح الإنسان في دوائره الفردية والجماعية والعمرانية هو مقصد القرآن الأعلى. وهذا الفهم للقرآن والنظر إليه بهذه المركزية وهذه الشمولية يجعل من القرآن مرجعا يستقى منه، لا مرجعا للتبرير للآراء الجزئية، ويجعلنا نفتقر إلى القرآن ليعطينها من جواهره المكنونة ويحدد لنا المقاصد التي في ضوئها نجتهد ونعمل، ولا يفتقر إلينا القرآن للاحتجاج لها والبرهنة على صحته من خلال ما أنجزه الإنسان، أو نجعل منه مرجع تسويغ لآرائنا ومقاصدنا بعد أن نكون قد حددنها بعيدا عن القرآن.

ولذلك على من أراد فهم القرآن وتفسيره والأخذ منه أن يخضع للقرآن ومقاصده، ليستطيع أن ينتفع به، لا أن يحدد مقاصد لنفسه، ثم يأتي للقرآن طالباً التبرير له، فيقع في التجزيئية. ولهذا، فإن على متدبر القرآن – كما يذكر العلامة ابن عاشور- أن «يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن»[4]، التي

---

(1) المصدر نفسه.
(2) عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، ط3 (هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1414هـ/ 1994م)، ص76-83.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص38.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص39.

توجه منهجيا التأسيس لعلوم ومعارف يتوسل بها إلى تحقيق المقصد الأعلى، وتشكل المحاور الكبرى التي تحوي مختلف المعارف التي تأتي من فيض القرآن وتتصل به من قريب أو من بعيد.

وهذا ما يؤكد على صلة مختلف العلوم بالقرآن الكريم؛ ذلك أنه ليس كتابا للعلوم بالمعنى الأكاديمي، وإنما القرآن ينظم علاقته بالعلوم في مستويات أربعة؛ فمنها ما هو مستمد مباشرة من القرآن كتاريخ الأنبياء والأمم وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة، ومنها علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات، ومنها علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق، ومنها علوم لا علاقة لها بالقرآن إما لبطلانها كالميثولوجيا، وإما لأنها لا تعين على خدمته[(1)].

ونفهم من هذا كله أن القرآن يشكل مرجعية للعلوم الدينية وغير الدينية. فالقرآن يقوم بدور مرجعي في هندسة بناء المعرفة، مما يجعلها ذات أصول مشتركة وتتجه إلى تحقيق أهداف متضافرة. ذلك أن التشظي المشهود في المعرفة في العالم الإسلامي والإشكالات المتعددة ناتجة عن استبعاد القرآن الكريم عن مسار الإنتاج المعرفي وعن هيمنته على إنتاج المعرفة.

ولذلك -وخاصة في مجال العلوم المرتبطة بالدين- أن يكون القرآن المصدر الأعلى ويكون معيار صواب الآراء والأفكار، والمصدر الرئيس للقواعد الثابتة لجميع المعارف، وجميع مناشط الإنسان لتحقيق الهداية والإستخلاف، والناظم لمختلف أفرع المعرفة.

فالقرآن منبع استمداد لا ينضب لدراسة مختلف الظواهر والقضايا والأفكار والأحداث، وفي هذا السياق فإن في العصر الحديث توسعت دراسة الاديان في الفكر الغربي كثيرا وتناولت قضايا

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص45.

عديدة تتعلق بمفهوم الدين، ونشأته، وتاريخه، ونصوصه المقدسة، والتعددية والتنوع الديني، والحوار والتعايش وغيرها من المسائل المتعلق بالدين مفردا وجمعاً، مما يقتضي منا بحثا في القرآن الكريم لنؤسس لدراسة الأديان من خلال اكتشاف المادة المعرفية المتعلقة بالأديان في القرآن الكريم، وكذلك استخراج القواعد المنهجية الضابطة لدراستنا للأديان.

**2. كثافة المادة المعرفية في القرآن في دراسة الأديان**

إن القرآن الذي يتبوأ مقام المصدرية المعرفية والمنهاجية لمختلف العلوم، ويهدي للتي هي أقوم في مختلف المجالات؛ ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:9] ، يجعلنا في سياق هذا البحث المتعلق بالمادة المعرفية والمنهجية في القرآن لدراسة الأديان، نؤكد أن المتأمل في القرآن والسنة يتأكد له أمران: أولهما أن قصص الأنبياء أو ما نسميه القصة القرآنية المتعلقة بالملل والنحل والاديان – أو بعبارة أدق بالرسالات الالهية والانحرافات البشرية- استغرقت جانباً كبيراً من آيات القرآن الكريم. وثانيهما: غطت كتب السنة – وفي مقدمتها صحيحا البخاري ومسلم- الحديث عن الأنبياء وبيان فضلهم، وبدئ الوحي، وبدء الخلق، ومسائل كثيرة في هذا الجانب[1].

كما أن هناك في القرآن مئات الآيات حول الأديان والمذاهب الدينية المختلفة ؛ ففي بعضها تعرض نواحي تاريخية، وفي بعضها مسائل عقدية، وفي بعضها تناقش قضايا منهجية، وفي بعضها تتناول القضايا الاجتماعية في الأديان بأوسع معانيها، وفي البعض الآخر تقدم تقريرات محددة عن كثير من المسائل التي تعتبر في صميم ما يعرف بفلسفة الدين وعلم الاجتماع الديني وتاريخ الأديان والدين

(1) عبد الله علي سمك، مدخل لدراسة الأديان، (مكة المكرمة: دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، 2013م)، ص6.

المقارن، وتأتي السنة الشريفة في جانبها القولي والعملي لتلقي مزيداً من الضوء نظريا وتطبيقياً على الهدي القرآني[1].

ونجد هذه الكثافة في المادة المعرفية القرآنية المتعلقة بدراسة الأديان في موضوعات عديدة؛ منها قصص الأنبياء، وذكر أنواع الاعتقادات، على سبيل المثال لا الحصر.

### 2. 1. قصص الأنبياء:

يمثل القصص القرآني جزءاً غير يسير من القرآن الكريم، فهو يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من القرآن[2]. وإن المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله كانت مساحة واسعة، ولا يقل الحيز الذي شغله من كتاب الله تعالى عن الربع إن لم يزد قليلاً.

ولا عجب، لأن القصة القرآنية لم تأت لتقرر هدفاً واحداً، بل إن هذا القصص كانت له أهدافه الكثيرة وغاياته المتعددة، وإذا أردنا أن نفصل، فإننا نجد أن القصص القرآني جاء ليعمق العقيدة في النفوس ويبصر بها العقول، ويحيي بها القلوب، ويسلك لتلك القضية المهمة الخطيرة أحسن الطرق، هذه العقيدة بأسسها الكبرى؛ الألوهية والرسالة واليوم الآخر، فلقد ركزت القصة القرآنية في مقام الألوهية على وحدانية الله، وعدله، وقدرته، وحكمته، وحبّه، ووداده لعباده، وفي مجال الرسالة ركزت القصة القرآنية على الصفات الخيرة للأنبياء، ليكون للناس فيهم أسوة، وبهم قدوة فهم وإن كانوا بشراً إلا أنهم أكرموا بالوحي والرسالة، أما عند الحديث عن اليوم الآخر، وما يكون فيه من أحداث ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:15]، فقد ذكرت القصة القرآنية ذلك

(1) دين محمد محمد ميرا، في علم الدين المقارن: مقالات في المنهج، ط1، (القاهرة: دار البصائر، 1430هـ/2009م)، ص197.
(2) فضل حسن عبّاس، القصص القرآنيّ إيحاؤه ونفحاته، ط1، (عمان: دار الفرقان، 1407هـ/1987م)، ص10.

كله بالدليل القاطع، والبرهان الساطع منتزعاً من النفس تارة، ومن الآفاق تارة، وتسلك لذلك كله الترغيب تارة والترهيب أخرى[1]. إضافة إلى المسائل الأخرى التي بلغتها القصة القرآنية مما يتعلق بالإنسان وسموه وتكريمه ورسالته في الحياة وعمارته للكون ...إلخ.

ومن بين القصص القرآني نجد قصص الأنبياء. ولقد ذكر القرآن الكريم طائفة من الرسل والأنبياء، في مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:83-86]، وذكر أنبياء آخرين هم آدم وإدريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ومحمد عليهم الصلاة والسلام في آيات أخرى.

بل أشار القرآن إلى أن هناك أنبياء كثير لم يذكرهم بأسمائهم لحكمة يعلمها الله سبحانه، في قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:164-165].

□

(1) فضل حسن عباس، القصة القرآنية. أنظر موقع ملتقى التفسير:
vb.tafsir.net/tafsir21910/#.VCqDvfmSyV0

### 2. 2. أنواع الاعتقادات وما يطرأ عليها:

القرآن كتاب أنزله الله لهداية البشرية، وهو خاتم الكتب السماوية، وهو كتاب دعوة وهداية، لهذا ذكر الله عز وجل فيه اعتقادات الناس السابقة والمتزامنة مع نزوله، لأن ذلك وسيلة من وسائل دعوة أصحاب الأديان، فإن عرض ما هم عليه من الباطل وبيان أوجه بطلانه مع عرض الحق والتركيز على مميزاته، وأوجه رجحانه، كل ذلك مما ينير الأذهان التي غلفها التقليد، والجهل، والهوى، ويفتح أمامها آفاق المعرفة السليمة من أجل المقارنة والموازنة ثم الإيمان عن اقتناع ويقين(1).

وإذا نظرنا في القرآن نجد أنه حوى من ذلك الشيء الكثير، فمن ذلك أن الله عز وجل قد حصر الأديان التي عليها الناس في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج:17]. فالقرآن ذكر الأنواع الكبرى للاعتقادات (الأديان)، أو بتعبير العامري: «الأديان الستة التي لها خطط وممالك»(2).

بل هناك آيتان كذلك ذكرتا هذه الاعتقادات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:63]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة:69].

(1) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، (الرياض: دار اضواء السلف، ط5، 1427هـ/2006م)، ص15.

(2) أبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، (الرياض: دار الأصالة، ط1، 1408هـ/1988م)، ص121.

كما أن هناك آيات قرآنية كثيرة تتكلم عن الكتب السماوية السابقة التي يجب الايمان بها؛ قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران:3]، و﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:18-19]، ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:50].

وفي القرآن تفصيل لمحتويات تلك الكتب من شرائع وعقائد وغيرهما، وبخاصة عقيدة التوحيد التي جاء بها الأنبياء جميعا. فلا تكاد تخلوا قصة من قصص الأنبياء إلا وفيها تأكيد على وحدة الدين الذي جاء به الانبياء، ووحدة الرسالة.

كما أن القرآن فصل في ذكر ونقد التحريف الذي لحق بالكتب والرسالات السماوية، وحفظ القرآن لها، خاصة ما انزل على سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام، عاملا فيها منهجية التصديق والهيمنة التي سيأتي بيانها في النقاط الموالية.

**2. القواعد المنهجية لدراسة الأديان في القرآن الكريم**

**3. 1. معاني لفظة الدِّين في القرآن الكريم (حقيقة خارجية وتجربة تاريخية وميثاق):**

يقدم القرآن بنائية مفاهيمية دقيقة؛ فكل مصطلح يدل على مفهوم محدد، وكل مفهوم يدل على الرؤية الكلية للقرآن. وفي هذا السياق فإن تحديد مفهوم الدين في الاستعمال القرآني من الأهمية بمكان، لأنه يستعيد للقرآن هيمنته المعرفية ومصدريته ومركزيته المنهاجية. فإننا نجد أن القرآن فسح له مساحة واسعة في آياته، ووفر له مادة معرفية مكثفة تنبئ عن خطورته وأهميته. وهي من الألفاظ الأساسية والمفتاحية في القرآن الكريم.

وقد تكرر لفظ (الدين) في القرآن بكثافة[1]، وبمعاني متعددة، ومدلولات مختلفة، وفي سياقات متعددة ومختلفة، وفي السور المكية والمدنية؛ فهو الطاعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:193]، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كله لِلَّهِ﴾ [الأنفال:39]، أي الخضوع له وحده دون سواه. وهو أصل المعنى، ودِنْتَ له أي أطعته. وهو الجزاء والمكافأة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:53]، أي: مجزيُّون. يقال دانه دينًا، أي جازاه، ويقال: كما تدين تدان أي كما تُجازي تُجَازَى بحسب ما عملت. وهو الحساب، ومنه قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:4]. وهو السلطان والملك، وقد دِنْته دينًا، ملكته، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة:86]، أي: غير مملوكين. وهو القضاء والحكم والملك، وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف:76]، أي: في حكمه وقضائه. ويطلق ويراد به الإسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران:83]، يعنى الإسلام، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:85][2].

من الناحية اللغوية فإن المعاني أعلاه، وبالرجوع إلى قواميس اللغة ومعاجمها نجد أن لمادة «دين» مترادفات ومعاني لفظية من الكثرة بحيث أنك يصعب عليك الخروج من خلالها بمفهوم للدين، لكن لو نظرنا في اشتقاق هذه الكلمة ووجوه تصريفها نرى من وراء هذا الاختلاف الظاهر تقارباً شديداً، وصلة تامة في جوهر المعنى. وهذه المعاني الكثيرة تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معان تكاد تكون

---

(1) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث: 1408هـ/1988م)، ص340-341.

(2) ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط1، 1410هـ /1990م)، ج13، ص168-171؛ دراز، الدين، ص29-30؛ أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن، (القاهرة: دار التراث العربي، ط2، 1406هـ/1986م)، ص107-118.

متلازمة. بل نجد أن التفاوت اليسير بين هذه المعاني الثلاثة مردّه في الحقيقة إلى أن الكلمة التي يراد شرحها ليست كلمة واحدة، بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدق أنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب.

فكلمة «دين»: تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه: «دانه يدينه»، وتارة من فعل متعد باللام: «دان له»، وتارة متعد بالباء: «دان به». وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة. ولذلك فإن خلاصة المعاني اللغوية كما يذكر الشيخ درّاز أن كلمة الدين في اللغة العربية تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له. فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً. وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً، وحكماً وإلزاماً. وإذا نظر بها على الرباط بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، او المظهر الذي يعبر عنها[(1)].

فمادة «دين» تدور كلها على معنى لزوم الانقياد (إلزام الانقياد، التزام الانقياد، المبدأ الذي يلتزم الانقياد له). فالاستعمال الأول، الدين إلزام وانقياد، وفي الاستعمال الثاني الدين التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث الدين هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له.

أي أن الدين من جهة المتدين حالة نفسية (تجربة) هي الخضوع والانقياد، ومن ناحية المضمون الدين هو تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة، أو الروايات المأثورة، ومعناها جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم، اعتقاداً أو عملاً[(2)].

فإذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حالة نفسية «التدين»، فالدين: الاعتقاد بوجود ذات – او ذوات- غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الانسان، اعتقاد من

(1) دراز، الدين، ص29-31.
(2) دراز، الدين، ص32.

شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد؛ أي الايمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة. وإذا نظرنا إلى الدين من حيث هو حقيقة خارجية: هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها[1].

وإذا نظرنا إلى استعمالات الدين في القرآن، وإلى التحليل الذي قام به الشيخ دراز، فإننا نجد أن الدين في منظور القرآن الكريم له معنيان من جاهة الحقيقة الخارجية ومن جهة التجربة التاريخية؛ فمن جهة الحقيقة الخارجية فإن الدين هو مضمون الدين؛ أي ذلك الشرع أو تلك المجموعة من القوانين والعقائد والقواعد التي يعتقد بها المتدين وترسم له طريق العبادة. أما من جهة التجربة التاريخية أي الحالة النفسية للمتدين فإن الدين (التدين) ممارسة بشرية وخضوع وتمجيد وتقديس لمعبود ما.

وهو ما ينبهنا إلى أنه في الاستعمال القرآني هناك معنيان عامان: معنى المعتقد والمنهج الذي يتخذه الإنسان في هذه الحياة، يفسر به الوجود، ويشكل به نظرة وتصورًا عن الخالق والكون والحياة، وهذا ينظر إليه من ناحيته الإنسانية العملية، أي تلك الممارسة العملية (التدين)، سواء كان هذا الدين إنكارًا أو إقرارًا بوجود الخالق وتحقق وعده أم لا. أما المعنى الثاني فهو بالنظر إلى حقيقة هذا المنهج، وواضعه، وفي هذا يصير هناك دينان فقط؛ دين الحق ودين الضلالة، أو بعبارة أخرى دين الله الإسلام، وغيره من الاعتقادات التي تخالفه مهما كانت

ونفهم مما سبق أن القرآن يعتبر ما يُتخذ من أفكار أو معتقدات أو خرافات منهجًا للحياة دينًا بالمعنى العام، وإن كانت غير مقبولة عند الله، وذلك أنها تتوفر فيها تلك الجوانب الثلاثة التي أشرنا إليها سلفًا، وهي الخضوع والاعتقاد والمعتقد نفسه

(1) دراز، الدين، ص47 وما بعدها.

فهناك إذن جانبان للدين؛ باعتباره وضعًا إلهيًا جاء به الأنبياء جميعا، وهو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾ [آل عمران:19]، وباعتبار الواقع الإنساني فإن الدين هو كل منهج يتوفر فيه الجانب النفسي الذي يحمل الناس على التقيد به بما يحمله من وعود وتصورات، وبما يتوفر فيه من تعاليم، هذا إذا نظرنا إلى الدين كمنهج للحياة وتشريع يلتزمه الناس. بمعنى أنه من حيث الممارسة التاريخية فقد مارس البشر أفرادا ومجموعات أنواعا متعددة من التدين، ولهذا فالقرآن يعالج التعددية الدينية أي تعددية التجربة الدينية، ويشير إلى وجودها تاريخيا، دون اعتراف بحقيقتها وتطابقها مع المعطى الإلهي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:1-6].

### 3 .2. الإسلام هو الدين الحق وهو دين الله الواحد: (وحدة الحقيقة الخارجية):

إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أنه يعتبر الإسلام هو الدين الحق[1]، وهو دين الله الواحد[2]، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾ [آل عمران:19]، و﴿هوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:33]، و﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:28]، و﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:9].

---

(1) ميرا، في علم الدين المقارن، ص39.

(2) أحمد عبد الله جود، علم الملل ومناهج العلماء فيه، (الرياض: دار الفضيلة، ط1، 1425هـ/2005م)، ص70.

وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده؛ ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [المائدة:3]، وهو الذي لا يقبل سواه ديناً؛ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:85].

ويعتبر القرآن الإسلام دين الأنبياء جميعاً، أساسه الدعوة إلى توحيد الله، ولذلك هتف به الانبياء جميعا، وانتسب إليه جميع الموحدين. فهو الذي أمر الله به إبراهيم عليه السلام فاستجاب له طائعاً مسلماً، واتبعه أبناؤه من بعده يعقوب عليه السلام وبنوه، ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:130-133].

وهو الذي قال به نوح عليه السلام من قبل؛ ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:72]، وهو دين موسى عليه السلام أعلن عنه وهو يخاطب قومه، ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:84].

ويعتبر الحلقة الأخيرة في سلسلة الرسالات الإلهية؛ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:13]، ونبيه خاتم النبيين في سلسلة خط النبوة الذي لم ينقطع منذ أن بدأ إلى أن اكتمل مع محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:40].

وفي السنة نجد نصوصا تعتبر دين الله واحد ورسالة الانبياء واحدة ومتكاملة، فيُشبّه النبوة كلها بالبناء المكتمل: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[1].

قال القرطبي: «ولا خلاف أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما خالف بينها في الفروع حسبما علمه سبحانه»[2]. وعليه، فإنه لا يقبل شرعية أي دين من حيث الحقيقة، إنما الشرعية الحقة للإسلام فقط، الذي أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم خاتما لما سبقه، ومصدقاً له، ومهيمنا عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:48].

ولكن هذا الموقف لا يمنع الإسلام من التسليم بالوجود الفعلي للأديان المختلفة، بمعنى أنه يؤمن بواقعية التعدد الذي لا يريد محوه بالقوة والاكراه، لأنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:256]، و﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:6]. ومن هنا كان حديث القرآن الكريم عن الحقوق والواجبات لأهل الأديان الأخرى، وبيان السنة المطهرة لها.

والتسليم بالوجود الفعلي للأديان الأخرى وعدم إلزام الناس بالتخلي عنها بالإكراه، لا يعني إضفاء الشرعية عليها، بل إن مقارنة ذلك بالتصريح القرآني ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾ [آل

(1) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1423هـ/2002م)، ص873، حديث رقم 3534.
(2) أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1434هـ/2013م)، ج 16/ ص164.

عمران:19]، مع المطالبة القرآنية بالصدع بالحق الذي هو الإسلام ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:71]، كل ذلك يوصلنا إلى نتيجة جلية مفادها أن الاتجاه القرآني العام في موقفه من الأديان الأخرى اتجاه نقدي علمي.

لكن هذا الاتجاه النقدي لا يعني في منطق القرآن الكريم الحط من شأن الأديان الأخرى، بمعنى شن الحرب عليها وإذلال أصحابها، بل نقد اسسها ومضامينها وشعاراتها في ما خالفت فيه الدين الحق، لأن منظور القرآن ان الدين واحد، وما اختلف فيه من الحق، لا بد فيه من النقد والمراجعة والتمحيص، ليرجع إلى أصله (دين الحق).

صحيح أن القرآن يرد على مقالاتهم، ويحكم بضلال توجهاتهم، وانهيار أسس بناء عقائدهم، وانحراف مبادئهم. لكن هذا كله يبينه القرآن الكريم في إطار المنطق العلمي والحجج الموضوعية، وهذا ما يقتضيه واجب الدعوة.

وإن آثر أولئك بعد هذا البيان الاستمرار في تقليد أهواءهم، فإن الإسلام يتركهم أحراراً ليتحملوا مسؤولية اختيارهم أمام الله، مطالباً المسلمين بالجهر بالإسلام.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:19-20]، و﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ

اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64]، و﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:104-105]، و﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى:13-15].

فاتجاه القرآن النقدي ملازم لمنظوره في التبليغ ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، ولإيمانه بضرورة الاقناع والاقتناع، ولاستعداده للتعايش السلمي مع أهل الاديان الاخرى[1].

**3. 3. منهجية التصديق والهيمنة:**

ويعزز هذا ما قدمه القرآن نفسه من مناهج للتعامل مع أهل الأديان الأخرى. وهي مناهج تأخذ بالرفق بأيدي التائهين والمنحرفين إلى الصرط المستقيم إن كانوا مستعدين لذلك. فالقرآن الكريم لم يحدد

(1) ميرا، في علم الدين المقارن، ص41.

للمسلمين اتجاههم فقط، بل دلهم على مناهج يسلكونها – في إطار المنطق العلمي والحرية الفكرية- للتوصل إلى أهدافهم، ويطبقون من خلالها نقدهم ودراساتهم[1].

كما أن معيار التوحيد الذي وضعه القرآن للحكم من خلاله على الأديان واعتبار الإسلام هو الدين الحق معيارا عاما مجردا يمكن تعميمه وتطبيقه دون تحيز. فالصحة مرتبطة بدرجة التمسك بالتوحيد الصحيح، والخطأ أو الزيف يتحدد في درجة البعد عن التوحيد الصحيح.

وفي الوقت نفسه اعتمد الإسلام مبدأ التصحيح، فالأديان قابلة للتصحيح، وللعودة إلى التوحيد في صورته الصحيحة. ولا يوجد دين باطل بالأصالة أو بالفطرة، فالأخطاء التي وقعت للأديان أخطاء بشرية يمكن معالجتها. وحركة التصحيح حركة مستمرة قد تحدث بدوافع داخلية أي من داخل الدين ذاته استجابة لعوامل الفطرة السليمة والعقل السليم، أو بدوافع خارجية نتيجة التأثر بدين آخر. فالانتقال من الباطل إلى الحق ممكن، والانتقال من الحقيقة النسبية إلى الحقيقة المطلقة ممكن[2].

فالأديان في حالة تصحيح مستمر لذاتها، وفي سعيها للحقيقة تصلح من نفسها وتقبل النقد والتصحيح، بصرف النظر عن مصدره داخليا كان أو خارجياً. لهذا كثرت حركات الإصلاح في تاريخ الأديان بهدف تصحيح الأوضاع الدينية[3]. ولهذا اعتبر القرآن حركة الرسالات النبوية سلسلة متكاملة جاءت لتصحيح الدين الواحد الذي طرأت عليه التبدلات بفعل التجربة الانسانية والتغير التاريخي.

---

(1) نفس المصدر.

(2) محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، (الدوحة: مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، 1434هـ/2013م)، ص34-35.

(3) حسن، تاريخ الأديان، ص34-35.

ويكون ذلك التصحيح المستمر عن طريق منهجية التصديق والهيمنة التي ذكرها القرآن الكريم؛ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:48].

وفي تفسير هذه الآية، نجد أن الهيمنة القرآنية على بقية الكتب الدينية تحمل معاني: أن القرآن عالٍ ومرتفع عليها، وشاهد، وحافظ لتراث النبوة، ومؤتمناً عليه، وهو ما ذكره القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب بأن القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب، وأمين عليها(1).

وتكمن منهجية التصديق والهيمنة القرآنية في كونها أساساً مهماً في أغلب عمليات المراجعة والتقويم، كما أنها سبيل قويم لممارسة الحوار والتدافع مع مختلف العقائد، وهي كذلك مرجع في وزن كل التصورات والعقائد الإيمانية والسلوكيات الأخلاقية الذاتية أو الغيرية، لاختزانها إمكانية الإحاطة بجوانب الصواب والاختلاف، فتزكي الصالح وتدفع الطالح، وتثبت النافع وتمحو دفعا الزبد الغث الضار.

فعمليات المراجعة العقدية التي جاء القرآن بتأسيسها من خلال نصوصه، كانت دعامة نقدية للعقل الإنساني ومعارفه الغيبية على وجه الخصوص، وقد دافعت عن التصورات القرآنية المستجدة ببرهانية صارمة، كما دفعت بعض عقائد السابقين من أهل الكتاب المحرفة(2).

فبالتصديق يعيد القرآن المجيد تراث النبيين وكتبهم الموحاة إلى حالة الصدق التي نزلت بها بعد تنقيتها من كل ما قد شابها من تغيير وتحريف أو مؤثرات إنسانية، وبالهيمنة وضع القرآن تراث

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص34-37.

(2) بناصر، حاجتنا لمفاهيم جديدة لتقويم العقل المسلم: مفهوم التصديق والهيمنة، ينظر: http://benaceur.arabblogs.com/archive/2008/9/677620.html

النبوات الخالص بين آياته وجعله في حمايته ليكون الدين الواحد لله الواحد. ولئلا يتعرض مرة أخرى إلى التدخل البشري[1].

كما أن منهجية التصديق والهيمنة في القرآن المجيد لها وجهتان؛ الوجهة الأولى: إزاء الكتب السالفة؛ فهناك تصديق لما صحّ من هذه الكتب ثم هيمنة عليها في تكامل تامّ معها. والوجهة الثانية: إزاء ما يمور ويعتلج في حياة الناس وارتفاقاتهم من ممارسات وما هو مستقر فيها من أعراف. والتصديق في هذه الوجهة عبارة عن إقرار الصالح من كل ذلك بالسكوت عنه أو الثناء عليه، وتغيير الطالح بالحديث عنه وكشف مساوئه[2].

إن التصديق القرآني لم يلغ كل عقائد ويقينيات السابقين، بل تعامل معها على أساس أن في بعضها ما يستحق التنويه كما أن فيها ما يمكن أن يتبعه المؤمنون؛ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:18-19]، و﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة:32]، كما أكد على أن فيها ما حرف وبدل، وانتهكت فيه شريعة النص الأصلي أو الكلام الإلهي كما حدث مع بني إسرائيل بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:20]، وكذلك ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾

---

(1) طه جابر العلواني، مفاهيم الفقه والعرف، جريدة الأهرام، الاثنين 4 جمادى الأولى 1428هـ/21 مايو 2007م، السنة 131، عدد 43995.

(2) أحمد عبادي، من مكونات المنهج النقدي في القرآن الكريم: التصديق والهيمنة. http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5562

[البقرة:78-79]، و﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:13]، فوجب تجنبها ومدافعتها لأنها لا تتأسس على شرعية نسبتها إلى الله على أية حال.

فتصديق عيسى عليه السلام لما بين يديه من الكتاب؛ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:6]، إنما هو تصديق بالتوراة، وشريعته ورسالته مكملة لشريعة موسى عليه السلام فيما احتواه الإنجيل من وصايا، وهما امتداد لشريعة إسرائيل التي انحرف عن أغلبها بنو إسرائيل لطول الأمد عليهم ومعاندتهم لرسلهم، وأما تصديق المسيحية فقد كان بالعهد القديم والعهد الجديد ولا يصح الإيمان المسيحي إلا بالجمع بينهما، وبدورها الديانة الإسلامية لخاتميتها -أو باعتبارها عهدا أخيرا كما يسميه بعضهم، فقد صدّقت وهيمنت على كل الشرائع السماوية السابقة؛ ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:48].

وواقع الهيمنة القرآنية وقوتها تكمن في الإبقاء على الأصلح والاعتراف به، مع تجديد في بعض الفروع أو التأسيس لبعض الأصول أو رفع الغل والمشقة ونسخ ما كان يضيق به صدر المؤمنين من الأحكام؛ ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج:78]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143]، ثم لأنها عقيدة خاتمة ومتممة، فلا ينبغي لها الإفراط والتشدد، ولا التفريط

والإخلال، فهي شريعة الديمومة والامتداد، وهي شريعة الوسط لأمة عالمية تمتاز بالوسطية وبالخيرية والخاتمية، فوجب أن تستمر إلى آخر الزمان وتتعالى عن النقصان أو الزيادة والتحريف، مصدقة ومهيمنة، تجمع العقيدة والشريعة، والأخلاق والقيم(1).

### 3 .4. تنوع التجربة الدينية واختلافها ﴿لا إكراه في الدين﴾:

إن تصميم القرآن على أن الحقيقة الخارجية واحدة في أصلها، وأنها دين الانبياء جميعا، وتوفيره لمنهجية التصديق لتراث الانبياء، والهيمنة على ما بقي منها، يمنح الباحث في الأديان القدرة على ممارسة النقد لأنواع التدين الأخرى، ويفسح المجال لضابط منهجي آخر فيما يتعلق بالتدين، وهو أن التجربة التاريخية تثبت أن هناك تدينات شتى، واختلافات كثيرة في طرائق التدين، وهذا تبعا لحقيقة الاختلاف الواقع بين الناس، باعتباره سنة من سنن الله في الوجود الانساني. والقرآن يؤكد حقيقة قانون الاختلاف في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:213]، و﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:118]، ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا

(1) بناصر، مفهوم التصديق والهيمنة، مرجع سابق؛ أبو القاسم حاج حمد، إبستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج، (بيروت: دار الهادي، ط1، 1425هـ/2004م)، ص210.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:253]. ولعلنا نستشف من هذه الآيات أن الاختلاف قانون إنساني في مختلف ابعاده الفكرية والاجتماعية والدينية وغيرها. «فأخبر سبحانه أنهم لا يزالون مختلفين أبداً»(1).

وذهب أكثر المفسرين إلى أن الآيات تتحدث عن واقع إنساني لا تنفك عنه الانسانية منذ أن أوجدها الله تعالى وحدث بينها الاختلاف، ولا يزال، كما ذهب إلى ذلك القرطبي(2).

أما الطبري فيرى أنه لا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم(3).

في حين يذهب ابن كثير إلى أن الله تعالى يخبرنا أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة، من إيمان أو كفران، ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم(4). ويرى الرازي أن المراد افتراق الناس في الأديان والاخلاق والافعال(5). كما يؤكد ذلك ابن عاشور بقوله: «إنّ جعلهم أمّة واحدة في الدّين منتفية، أي منتف دوامها على الوحدة في الدّين وإنْ كانوا قد وُجدوا في أوّل النشأة متّفقين فلم يلبثوا حتّى طرأ الاختلاف»(6).

ومع تأكيد القرآن على أن دين الله واحد، وأنه دين الانبياء جميعا، فإنه يبين ايضا حقيقة الاختلاف الواقع في بين الناس باعتباره حقيقة تاريخية واقعة، وليس إقراراً لتلك الاختلافات في

---

(1) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، (دار الفكر، د.ت.)، ج2، ص165.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص404-406؛ ج11، ص234-236.

(3) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان)، ط3 (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، ج7، ص142-143.

(4) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، (دار طيبة: 1422هـ /2002م)، ج2، ص423.

(5) فخر الدين الرازي، تفسير الرازي (التفسير الكبير)، ط2، (دار الكتب العلمية)، ج18، ص76.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص215.

صحتها، ولهذا فإن القرآن يضع منهجية التصديق والهيمنة لتصحيح الاختلافات وتحقيق دخول الناس في إخلاص العبودية لله والاستقامة على دين الحق؛ (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)[الصف:9]، ولكن بلا إكراه للناس أن يؤمنوا؛ ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]، لأن الله تعالى خلق الانسان وزوده بالقدرة على الاختيار ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الانسان:3]، فلا يُكرَه أحد على الايمان بشيء، لأنه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، من خلال سلسلة النبوة التي لم تنقطع من أول نبي إلى خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام.

هذا الاختلاف الانساني في القناعات والآراء والديانات يعترف القرآن بوجوده حقيقة في الواقع، بغض النظر عن أن هذا الاختلاف محمود أو مذموم، ولهذا فإن القرآن يضع قاعدة مهمة في شأن التعامل مع الاختلاف الديني وهي عدم الإكراه.

فإذا كان القرآن وضع قاعدة التصديق والهيمنة، فإنه وضع أيضا قاعدة منهجية هي عدم الإكراه في الدين، لأن الدين يبنى على الاقتناع والحقيقة وليس على الإكراه او المجاملة؛ (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة:256].

وهذا ما يفسح المجال للتعددية الدينية أمام الناس، والتعايش بينهم، دون تلفيق بين الاديان، ودون محاولة دمج احدها في الآخر، أو إكراه اتباع أحدها على تبني ما لم يقتنعوا به، ويوم القيامة يتحملون مسؤوليتهم أمام الله ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:105].

☐

### 3 .5. نشأة الدين ومنبع التدين:

يقول مالك بن نبي: «في ضوء القرآن يبدو الدين ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة، وتتحكم في تطورها. والدين على هذا يبدو وكأنه مطبوع في النظام الكوني، قانونا خاصا بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات البدائية، حول مركز واحد، يخطف سناه الأبصار، وهو حافل بالأسرار إلى الأبد»[1].

لعل هذا النص يذكرنا بأن الدين أمر فطري في الانسان بمعنييه الاثنين سابقي الذكر؛ فهو من حيث أنه حقيقة خارجية أوحى به الله منذ خلق قادم، بل منذ عالم الذر، ومن حيث هو تجربة تاريخية فإن البشرية لا تنفك عن التدين منذ فجر التاريخ إلى اليوم.

وبتأمل الآيات والأحاديث النبوية نجد أن الفطرة شكلت في البداية أساساً لإقامة مجتمع التوحيد، وكان الإنسان -ممثلا في الجماعة الإنسانية كلها- يمارس خلافة الله على الأرض وفقا لذلك[2]، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:213].

فاتجاه الإنسان الفطري نحو التدين، اتجاه تكويني ذاتي، وجد مع الإنسان منذ بداية وجوده على هذه الأرض. وهذا الاتجاه يفسر قوة الدفع الأصلية والنزوع الذاتي، في تكوين الإنسان نحو التعبد

---

(1) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، 1988م)، ص300.

(2) محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، (دار التعارف للمطبوعات، 1409هـ/ 1989م)، ص154.

والتقديس والاتجاه نحو مقدس عظيم، يعبر الإنسان عن شعوره، وأحاسيسه التعبدية نحوه .. هذه الأحاسيس التي ما تلبث أن تنمو وتتحول في نفس الإنسان إلى تصور لوجود هذه الحقيقة المطلقة الكبرى تصوراً يصاحبه شوق إلى البحث عن هذه الحقيقة التي تملأ نفس الإنسان، وتشده إليها، والإحساس بغنى هذه الحقيقة وقدرتها على ملء كل أبعاد الفراغ، وأحاسيس النقص في نفسه، واستعلائها على أبعاد العالم وأطره التي ينزع إلى اجتيازها، وتخليد وجوده فيما بعدها.. فهذا العالم لا يستطيع أن يخاطب جانب الامتداد المطلق في نفس الإنسان، أو يكون بديلاً عن تلك الحقيقة التي تتجه إليها ذاته[1].

لذلك فهو ينزع دوما إلى الاتجاه إلى حقيقة أسمى من هذا العالم المحسوس، ويشعر بقدرة تلك الحقيقة على ملء هذا الإحساس الفطري الذي يلح عليه بوعي وبدون وعي منه[2]. تلك الأحاسيس حقائق علمية أيدتها الأبحاث، والدراسات النفسية، كما تؤيدها الحقائق الوجدانية، والألفاظ اللغوية التي وضعها الإنسان للتعبير عن هذه المعاني والأحاسيس الفطرية[3].

ومن جهة أخرى فإنه يقوم في ذهن الإنسان تساؤل وجودي بصفة فطرية، فما يبدأ في التعامل مع البيئة الكونية تعاملاً عقليا حتى يرد على خاطره سؤال ذو ثلاثة نقاط أساسية: مأتى العالم، ومصيره، وحقيقة حركته فيما بين المأتى والمصير[4]. ولهذا فإن الإيمان بالله الواحد ورفض كل ألوان

---

(1) محمد جواد الفقيه، الإنسان والدين، (بيروت: دار الأضواء، ط1، 1413هـ/1993م)، ص11.
(2) نفس المصدر.
(3) الفقيه، الإنسان والدين، ص12.
(4) النجار، خلافة الإنسان، ص23.

الشرك والطاغوت، ووحدة الهدف والمصلحة والمسير، معالم الفطرة الإنسانية، وأي شرك وجبروت، وأي تناقض وتفرق فهو انحراف عن الفطرة(1).

فالقرآن الكريم يعرض الدين، ليس على أنه تشريع فقط، بل على أنه سنة موضوعية من سنن التاريخ، وقانون داخل في صميم تركيب الإنسان وفطرته، بل هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا يمكن تبديلها، ولا يمكن أن تنتزع من الإنسان لأنها جزء من أجزائه التي تقومه، فالدين ليس مقولة حضارية مكتسبة يمكن إعطاؤها ويمكن الاستغناء عنها، فهو لا يمكن أن ينفك عن خلق الله ما دام الإنسان إنسانًا، فالدين يعتبر سنة لهذا الإنسان(2). قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:30]، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:172].

□

(1) الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص154.
(2) الصدر، السنن التاريخية في القرآن، ص90-91.

**خاتـمة:**

في الختام نجد أن هذا البحث أكد مركزية القرآن في إنتاج المعرفة عموما والمعرفة المتعلقة بدراسة الأديان بوجه خاص، وكذلك التأكيد على كثافة المادة المعرفية المتعلقة بدراسة الأديان في القرآن الكريم متمثلة على سبيل المثال في قصص الأنبياء، وفي ذكره كبرى الأديان والاعتقادات التي تدين بها البشرية، مع ذكر تفاصيل الاعتقادات، أما القواعد المنهجية في القرآن لدراسة الأديان فتمثلت أولا في التأكيد على أن دين الله واحد، وثانيا أن الإسلام دين الانبياء جميعا، وثالثا أن التجربة الدينية متعددة تاريخيا (لا إكراه في الدين)، أما رابعا فقد وضع القرآن منهجية التصديق والهيمنة لتكون أداة لنقد الأديان والمحافظة على ما صح منها وتوجيهها نحو التصحيح في ما خرجت فيه عن دين الله الواحد، وخامسا تأكيد فطرية التدين (النزعة نحو التدين) وإلهية الحقيقة الخارجية (الدين). وهذا ما يزود الباحث المسلم في الأديان بمادة معرفية كثيفة تسمح له بدراسة الأديان مستخدما تلك القواعد المنهجية مما يحقق له الاقتدار العلمي، والرؤية الشمولية، والتمييز بين الدين الواحد من عند باعتباره حقيقة خارجية وبين الدين باعتباره تجربة تاريخية متعددة من خلال الممارسات البشرية. والله أعلم.

## قائمة المصادر والمراجع

1. ابن كثير، أ. ا. إ. (2002). تفسير ابن كثير. دار طيبة.
2. ابن منظور، أ. ا. ج. ا. (1990). لسان العرب (الطبعة الأولى، م 13). بيروت: دار صادر.
3. أبو سليمان، ع. ا. (1994). أزمة العقل المسلم (الطبعة الثالثة). هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
4. إسماعيل، ص. (1987). كيف نتعامل مع القرآن والسنة. في قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر (الطبعة الأولى). هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
5. البخاري، م. ب. إ. (2002). صحيح البخاري (الطبعة الأولى). دمشق: دار ابن كثير.
6. بن عاشور، م. ا. (1997). التحرير والتنوير (م 5). تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
7. بن نبي، م. (1988). الظاهرة القرآنية. دمشق: دار الفكر.
8. بناصر، ي. م. (2008، أكتوبر 30). حاجتنا لمفاهيم جديدة لتقويم العقل المسلم: مفهوم التصديق والهيمنة. استرجع في 3 يوليو، 2019، من http://benaceur.arabblogs.com/archive/2008/9/677620.html
9. جود، أ. ع. ا. (2005). علم الملل ومناهج العلماء فيه (الطبعة الأولى). الرياض: دار الفضيلة.
10. حسن، م. خ. (2013). تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة. الدوحة: مركز القرضاوي للوسطية والتجديد.
11. حمد، أ. ا. ح. (2004). إبستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج (الطبعة الولى). بيروت: دار الهادي.
12. الخلف، س. ب. ع. ا. (2006). دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. الرياض: دار أضواء السلف.
13. دراز، م. ع. ا. (1971). الدين. الكويت: دار القلم.
14. الرازي، ف. ا. (2000). تفسير الرازي (الطبعة الثانية). بيروت: دار الكتب العلمية.
15. سمك، ع. ا. ع. (2013). مدخل لدراسة الأديان. مكة المكرمة: درا الدراسات العلمية للنشر والتوزيع.
16. الشاطبي، إ. ب. م. (1984). الإعتصام (م 2). دار الفكر.
17. شبار، س. (2007). الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر (الطبعة الأولى). هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
18. الصدر، م. ب. (1989). السنن التاريخية في القرآن. دار التعارف للمطبوعات.
19. الطبري، م. ب. ج. (1954). تفسير الطبري (الطبعة الثالثة). القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

20. العامري، أ. ا. (1988). الإعلام بمناقب الإسلام (الطبعة الأولى). الرياض: دار الأصالة.

21. عبادي، أ. (2011، نوفمبر 23). من مكونات المنهج النقدي في القرآن الكريم: التصديق والهيمنة. استرجع في 3 يناير، 2019، من / من-مكونات-المنهج-النقدي-في-القرآن-الكر/ blog/ma.arrabita.www://h

22. عباس، ف. ح. (1987). القصص القرآنيّ إيحاؤه ونفحاته (الطبعة الأولى). عمّان: دار الفرقان.

23. عباس، ف. ح. (2010، سبتمبر 8). القصة القرآنية. استرجع في 3 يوليو، 2019، من https://vb.tafsir.net/forum/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B3%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A-%D9%84%D9%84%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1-%D9%88%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86/22356-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B5%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%AF-%D9%81%D8%B6%D9%84-%D8%AD%D8%B3%D9%86-%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3

24. عبد الباقي، م. ف. (1988). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث.

25. العلواني، ط. ج. (2007). مفاهيم الفقـــه والعـــرف. جريدة الأهرام، 131(43995).

26. الغزالي، م. (1991). كيف نتعامل مع القرآن (الطبعة الأولى). هيرندن: المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

27. الفقيه، م. ج. (1993). الإنسان والدين (الطبعة الاولى). بيروت: دار الأضواء.

28. القرطبي، أ. ب. (2013). الجامع لأحكام القرآن (الطبعة الأولى، م 13). الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

29. المودودي، أ. ا. (1986). المصطلحات الأربعة في القرآن (الطبعة الثانية). القاهرة: دار التراث العربي.

30. ميرا، د. م. م. (2009). في علم الدين المقارن: مقالات في المنهج (الطبعة الأولى). القاهرة: دار البصائر.